بتاريخ 14 رجب 1446
المواسعة و المضايقة

الجلسة 57

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِين

عجز الشّيطان عن الإغواء و النّقصان تجاه أنبياء الرّحمن

1. لقد اعترف الشّيطان أنه لا يُطيق إغواء المخلصين ثمّ أكّده الله تعالى أيضاً قائلاً: : «قٰالَ رَبِّ بِمٰا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاّٰ عِبٰادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قٰالَ هٰذٰا صِرٰاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ عِبٰادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰانٌ إِلاّٰ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغٰاوِينَ».[1] و حيث إنّ الإغواء يَعني الإضلال بصورة وسيعة فبالتّالي لا يَخصّ المعاصيَ فحسب بل سيُضلِّهم عن الطّريق القويم و الصّراط المستقيم بتخليط الحقّ مع الباطل، و امتزاج الصّحيح مع السّقيم و إيقاعهم بالغفلة و السّهو و النّسيان و شتّى العوامل الدّنيويّة أيضاً و ذلک نظراً لسعة تعبيره: «لأزيّنَنَّ لهم و لأُغويَنّهم» بينما العِباد المخلَصون ـ المعصوم ـ قد تَنزَّهوا و اعتُصِموا من مطلق الإغواءات و التّزيينات تماماً.

2. بل و ثمّة آيات أخَر قد دلّلت على عصمتهم الواسعة ـ و بلا تخصيص ـ فهي كالتّالي:

«اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمٰانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ مُهْتَدُونَ * وَ تِلْكَ حُجَّتُنٰا آتَيْنٰاهٰا إِبْرٰاهِيمَ عَلىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجٰاتٍ مَنْ نَشٰاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَ وَهَبْنٰا لَهُ إِسْحٰاقَ وَ يَعْقُوبَ، كُلاًّ هَدَيْنٰا وَ نُوحاً هَدَيْنٰا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دٰاوُدَ وَ سُلَيْمٰانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسىٰ وَ هٰارُونَ وَ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَ زَكَرِيّٰا وَ يَحْيىٰ وَ عِيسىٰ وَ إِلْيٰاسَ كُلٌّ مِنَ الصّٰالِحِينَ * وَ إِسْمٰاعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كلاًّ فَضَّلْنٰا عَلَى الْعٰالَمِينَ * وَ مِنْ آبٰائِهِمْ وَ ذُرِّيّٰاتِهِمْ وَ إِخْوٰانِهِمْ وَ اجْتَبَيْنٰاهُمْ وَ هَدَيْنٰاهُمْ إِلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ* ذٰلِكَ هُدَى اللّٰهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ وَ لَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ * أُولٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ وَ الْحُكْمَ وَ النُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهٰا هٰؤُلاٰءِ فَقَدْ وَكَّلْنٰا بِهٰا قَوْماً لَيْسُوا بِهٰا بِكٰافِرِينَ * أُولٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدٰاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاّٰ ذِكْرىٰ لِلْعٰالَمِينَ.»[2] و قد تجلّى ظاهراً أنّ مقدّمات الحِكمة قد توفَّرت في الفِقرات التّالية: «آمنوا و لم يَلبسوا إيمانَهم بظلم» و «لهم الأمن و هم مهتدون» و «أولئک الذين هدى الله فبهداهم اقتَدِه» و «اجتبيناهم و هديناهم» فإنّها آيات محكَمات حتماً حيث إنّه تعالى ضمن مقام تِبيان التّوسعة و تبيين الأمن المطلق لهم عن الخلل و الزّلل و الخطَل و الخَطأ حتّى الدّنيويّة أيضاً، بحيث إنّهم عليهم السّلام يُعدّون آمنِينَ «بالفعل» من الأخطاء و السّهو و الغفلة و النّسيان و...[3] لا شأناً، فكافّة هذه العناوين تُعدّ مطلقةً و فعّالةً بالتّأكيد، و لم نَعثُر على مخصِّص لها إطلاقاً.

أجل إنّ عالمَ «العصمة» ذات رُتَب و منازل فعصمة آل البيت الأربعةَ عشر قد تفوَّقَت على بقيّة المعصومين وفقاً لصَراحة الرّوايات بهذا الشّأن.

فبالنّهاية:

· إنّ العناوين المطروحة لا تُلائم الاقتداء بمن يَسهو أو يخطأ أو ينسى أو.... أبداً فإنّها وسيعة النّطاق بحيث تَحتوي العِصمة في التّبليغ و التّبيين و العمل و التّأسّي و كافّة الأمور الدّنيويّة أيضاً، لا عصمةً لحين دون حين إذ الأمور التّكوينيّة و العقليّة القطعيّة

تُعدّ سرمديّةً لا تَخضَع للتّخصيص أبداً.

· فمشياً مع ذلک، سنُعيد المتشابِهات إلى المحكَمات ـالمذكورة في سورة الأنعامـ و ذلک وفقاً لتوصية آهل البيت حين تفسير القرآن الكريم بحيث:

Ø سنُفسِّر «المسّ الشّيطانيّ» للنّبيّ بمطلق الشّرّ و العامل الذي قد تَسبَّب الأمراض و البلاوي و المشاقّ لأيوب عليه السّلام بحيث يَصنع أحداثاً مشومة و يُجنِّد جنوداً للإيذاء.

Ø و سنُفسِّر «نسيا حوتَهما» لا بالمعنى المتوهَّم ـنظراً للدّليل العقليّـ بل نسيَ الحوتَ يَعني «مجرّد عدم السّؤال عن الشّيئ و مطالبتِه» فحيث لم يَتحرَّ الحوتَ و لم يَبحثه فقد تسبَّب نتاجه بنسيانه و تركه هناک، و إلا فإنّ الشّيعة تَعتقد بأنّ المعصوم لو شاء معرفةَ شيئ لَعَلِمه أو عُلِّم، و يَبدو أنّه عليه السّلام لم يَنوِ الالتفاتَ إلى الحوت فلم يَعلمه، إذ لم يَستخدم علمَه اللَّدُنيّ آنذاک.[4]

Ø و سنُفسِّر «ليَغفِر لکَ الله ما تقدَّم من ذَنبک»[5] بما يُلائم المحكَمات المذكورة ـأي العصمة القطعيّةـ[6] فبالتّالي لا يَحدُث أيّ تضارب بين المتشابهات و بين المحكمات أبداً فإنّ وزانهما كوِزان الحاكم مع المحكوم و الوارد مع المورود، و من المبرَم أنّ الأُوْلَيين تَتفوَّقان على الثّانيَين فكذلک المحكَم على المتشابه، فعلى هذا المِنوال أيضاً سيُفسَّر معنى «و جاء ربّک و المَلک» حيث إنّها متشابهة بتّاً و لكن قد اتَّضح المرام بأنّه تعالى عديم الجسم وفقاً للآية التّالية: «ليس كمثله شيئ» و «الله نور السماوات و الأرض» حيث تُعدّ محكَمةً فائقةً و مفسِّرةً للمتشابه تماماً.

---

[1] سورة الحجر الآيات 39-43.

[2] سورة الانعام: 82-٩٠.

[3] و ذلک وفقاً للقاعدة الشّهيرة المسلَّمة بأنّ العناوين ظاهرة في الفعليّة بحيث حينما يحكم تعالى بحدوث شيئ و وقوعه فقد تجلّى و تفعَّل حاليّاً و فعليّاً.

[4] بل ثمّة نظرة عرفيّة إلى تعبير القرآن الكريم، فإنّ الآية قد تحدّثت بأسلوب شائع بين النّاس كثيراً فإنّه لو تسايَرَ شخصان معاً ثمّ نسِيَ أحدهما شيئاً يَتعلّق بكليهما تماماً، لأَطلَقا على أنفسهما بالنّسيان فيقولان: قد نَسينا الشّيئ الفلانيّ، بينما أحدهم فقط قد نسيَ ذاک الشّيئ، و لكن حيث قد ارتَبط الشّيئ بكليهما معاً ـكأكل الحوتـ فقد نَسباه بصيغة التّثنية، فالآية تُلائم النّظرة العرفيّة في المحاورَات تماماً فلم تَنسِب النّسيان إلى شخص النّبيّ بالضّبط بل لارتباط الغذاء ـالحوتـ بهما معاً قد ثَنَّى الفعل الماضي ـ نَسِيا ـ لا لتعلّق خلل النّسيان بشخص النّبيّ أساساً.

[5] سورة الفتح الآية 2.

[6] حيث قد ورد عن الإمام الرّضا عليه السّلام قائلاً: «فلما فتح الله تعالى على نبيه صلى الله عليه و آله و سلم مكة قال له: يا محمد إِنَّا فَتَحْنٰا لَکَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَکَ اللّٰهُ مٰا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِکَ وَ مٰا تَأَخَّرَ عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم و ما تأخر لأن مشركي مكة أسلم بعضهم و خرج بعضهم عن مكة و من بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفورا بظهوره عليهم، فقال المأمون: لله درك يا أبا الحسن.» (مجلسی محمدباقر. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول. Vol. 8. ص150)